هوامش

رغم انسحاب القوات الروسية من منطقة كييف، وتركيز هجومها على جنوب أوكرانيا وشرقها، إلا أن القيّمين على المتاحف غرب البلاد، ما زالوا متردّدين بشأن إعادة فتح أبواب هذه المواقع المهمة

في قصر بوتوكي (يوري ديا تشيشن / فرانس برس)

متاحف غرب أوكرانيا

الأبواب نصف مفتوحة حتى إشعار آخر

ينبغي على زائر قصر بوتوكي، وهو أحد أبرز الروائع المعمارية في غرب أوكرانيا، أن يُبرز أوراقه الثبوتية، ويخضع لتدابير أمنية مشددة يؤمنها عدد من الجنود. رغم عودة الحياة نسبياً إلى طبيعتها في مدينة لفيف، منذ أن انسحبت القوات الروسية من منطقة كييف، وركزت هجومها على جنوب أوكرانيا وشرقها، لم تستعد المتاحف بعد نشاطها المعتاد؛ إذ بالكاد تفتح أبوابها خشية استهداف الروس الإرث الثقافي الأوكراني. يضم المتحف الوطني للفنون في لفيف 65 ألف عمل، ويعد أكبر متحف للفنون الجميلة في أوكرانيا. في هذا السياق، يقول نائب مدير المتحف، فاسيل ميتسكو: «نرغب في إعادة فتح الأبواب قليلاً، لكنّ الأمر صعب من منظور أمني». ويتابع: «كيف لنا أن نضمن أنّ الروس لا يستغلون هذه المرحلة لاستجماع قوّتهم، قبل أن يعاودوا إطلاق قذائفهم؟». يشير ميتسكو إلى أنّ الحرب التي بدأت في 24 فبراير/ شباط، فاجأت موظفي المتحف، الذين «لم يتوقعوا أن تصل الضربات إلى هذا الحدّ»، وأن تهدد مدينتهم. وبعد الصدمة التي تلقاها القيّمون على المتحف في البداية، باشروا بالعمل سريعاً، وجمعوا اللوحات والمنحوتات لتوضيبها بعناية. ووُضعت هذه الأعمال، التي تقدّر قيمة بعضها بالملايين، في أماكن لم يُكشف عنها، ولا تزال محفوظة هناك حتى اليوم. وفي قصر بوتوكي، الذي فُتحت أبوابه استثنائياً لفريق وكالة فرانس برس، يعيد العمال طلاء الجدران، مستفيدين من إزالة اللوحات الفنية عنها. ومن بين هذه الأعمال لوحة «بيمان»، للرسام الفرنسي جورج دو لا تور. ومنذ بداية مايو/أيار، أعيد جزئياً فتح موقعين آخرين تابعين للمتحف، يقعان على بُعد أكثر من ساعة من لفيف. ورغم ذلك، من المؤكد أنّ المتحف في المدينة لن يعيد فتح أبوابه «ما لم يحدث أي تغيير كبير سياسياً أو ميدانياً»، بحسب ميتسكو. ويرى نائب المدير، أنّ روسيا التي قصفت متحفين، أحدهما يقع قرب كييف (مخصص لأعمال الرسامة ماريا بريماشنكو) والآخر في خاركيف (عن الفيلسوف غريغوري كسوفورودا)، لا تزال تشكل تهديداً لمتاحف لفيف، لأنّها تسعى إلى «تدمير الهوية الأوكرانية وجذورها الأوروبية».

ويبدي مدير المتحف التاريخي في لفيف، رومان شميليك الحذر نفسه. ومن بين المباني العشرة التي يبلغ عمرها نحو مئة سنة، وتضم مجموعاته، أعيد في الأول من مايو/أيار فتح اثنين بشكل جزئي، أحدهما لإتاحة ارتياد المقهى الخاص به، والآخر خُصّص لأحد العروض المرتبطة بالأطفال. ويذكّر شميليك بأنّ القوات السوفييتية، عندما سيطرت على لفيف في نهاية الحرب العالمية الثانية، وكذلك على متحفها، حوّلته إلى «أداة دعائية». ويتابع متأثراً: «استبدلوا المعرض الدائم بآخر عن الجيش الأحمر». ويرى أستاذ الهندسة المعمارية في جامعة لفيف، ميكولا بيفز، الذي كان أحد الذين ساهموا في إدراج المدينة على لائحة اليونيسكو للتراث العالمي، أنّ السوفييت «تصرّفوا كالجرافات» في كل البلدان التي سيطروا عليها. ويشير بيفز، إلى أنّ لفيف ومعالمها البالغ عددها ثلاثة آلاف، والتي تمثل «مهد الوطنية الأوكرانية»، قاومت بشكل أفضل من غيرها «التخطيط المدني» الذي فرضه الاتحاد السوفييتي. أما السبب في ذلك، فيعود أولاً إلى أنّها دخلت متأخرة إلى الفلك السوفييتي (ضُمّ شرق البلاد إلى الاتحاد السوفييتي عام 1918)، وثانياً إلى وجود «حركة فكرية عرفت يومها كيف تقاوم ببراعة». ويشير إلى أنّ سكان لفيف نجحوا في إنقاذ حي تاريخي، كان سيُهدم لتُقام في مكانه ساحة كبيرة، تُخصص للعروض العسكرية. ويؤكد فاسيل ميتسكو، أنّ المدير السابق للمتحف الوطني في لفيف، بوريس فوزنيتسكي، أظهر كذلك «ذكاءً» مكّنه من إثراء مجموعاته، خصوصاً بأعمال ذات طابع ديني، «رغم الإلحاد السوفييتي الرسمي». ويشدّد رومان شميليك، الذي يحذو حذو هؤلاء المدافعين عن التراث الأوكراني، على أهمية حماية متاحف المدينة «للمساهمة في تشكيل الهوية الوطنية». ويتوجّه إلى الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، الذي ينفي وجود أي هوية خاصة بأوكرانيا، ويؤكّد أن الروسيين والأوكرانيين شعب واحد، بالقول «نحن أوكرانيون وليس لدينا ما نثبته» في هذا الخصوص.

(فرانس برس)

باختصار

يضم المتحف الوطني للفنون في لفيف 65 ألف عمل، ويعد أكبر متحف للفنون الجميلة في أوكرانيا

■■■

جمع القيمون على المتحف الوطني للفنون اللوحات والمنحوتات ونقلوها إلى أماكن لم يُكشف عنها تجنّباً لتعرّضها للقصف والتخريب

■■■

عندما سيطر السوفييت على لفيف في نهاية الحرب العالمية الثانية، وكذلك على متحفها، حولوه إلى أداة دعائية

وأخيراً

شيرين وبعض الغياب

سما حسن

تقاربني الراحلة الباقية في القلوب، شيرين أبو عاقلة، في العمر، ولا أقاربها في أشياء كثيرة تميّزت فيها عني وعن باقي النساء ممن هنّ في عمرها. وفي كلّ مرّةٍ كنت أراها على الشاشة أرى كم هي في أرقٍ وقلق، وكم هي متعبةٌ في حين تقبع النساء ممن هنّ في عمرها في بيوتهن يقمن بأعمال تقليدية روتينية. ولست هنا أقلل من دور الأمهات وربّات البيوت والموظفات صاحبات الأسر، واللواتي يعدن من أعمالهن إلى أعمال الطبخ والتنظيف ورعاية أطفالهن. لكنّي هنا أتخيل فقط، ومن باب الخيال، ماذا لو كانت شيرين مثل باقي النساء اللواتي يعشن هموماً يومية؟ تخيلت شيرين حين يتقدّم بها العمر، وتؤمن زواج آخر الأبناء، وتقبع في بيتها المتواضع في القدس، ثم تنتظر النهاية التقليدية مع أمراض الشيخوخة. تخيلت كم شخصٍ سوف يسير خلفها في الجنازة وكم شخصٍ سوف يتذكّرها، وأي ذاكرة سوف تتسع لذكرها، مهما بلغت محبّتها ومكانتها، والتخيّل هنا لم يكن أبداً مرضياً، ولذلك عليّ أن أشعر بالسعادة، لأنّ مثل شيرين أبو عاقلة قد حظيت بما يليق بها.

وقع خبر سقوط شيرين برصاصةٍ غادرةٍ عليّ كالصاعقة، وبدأت أتمالك نفسي، وأنا أطالع الغضب العام الجامح، وهو يعمّ العالم، وينتشر من الوطن إلى أبعد حدود الأرض، وكلما رأيت صورتها تحت الشجرة، وقد رقدت مثل عصفورٍ حطّ ليلتقط رزقه، فباغته مراهقٌ أغرّ بفخٍّ منصوبٍ منذ زمن، فأوقعه فيه مع سبق الإصرار والترصّد. نظرت ملياً وطويلاً إلى هذا المشهد، وصرت أفكّر بهذه النهاية المنتقاة لإنسانةٍ بذلت كل حياتها من أجل قضيةٍ آمنت بها ولم تفسح لها وقتاً، لكي تدير حياتها كما ندير حياتنا، نحن النساء، من بنات جيلها، فلم تصبح شيرين زوجةً وأماً، لكنها لم تفقد الكثير، فهي حبيبة الشعب كله، وأم كل الأولاد والبنات من جيل أولادي مثلاً. وعليّ أن أتخيل أنّ أبناء فلسطين مثلاً ممن هم في أعمار أولادي، وقد أصبحوا أولاد شيرين يحبّونها ويذكرونها ويحملونها في قلوبهم كأيقونة فلسطين. شيرين الخارجة عن نمط تقليدي للمرأة، والمتمرّدة على خط سير حياة منهك، والباحثة عن عملٍ وجدت فيه نفسها، وفتحت باباً فرشت أرضيته بالشوك، وزرعت جوانبه بألغام الموت الكامنة، لكنّها فعلت ذلك راضيةً وقانعةً ومقتنعة، وأصبحت هي الزائرة لنا، ونحن فوق أرائكنا، وأمام مكاتبنا، وحول نار شتائنا فيما هي تواجه هناك وفي قلب المعركة.

كم نبشت شيرين فينا عجزنا واستسلامنا، كلما رأيناها تركُض هنا وهناك، وخطّ الشيب رؤوسنا، لكنّنا أبداً لم نكن نشعر بما تشعُر به، حتى جاءت النهاية التي أيقظتنا، قائلة لنا إنّ شيرين أبو عاقلة اختارت أكثر من حياة، ونحن قد اخترنا حياةً واحدةً وميتة واحدة. حين تطالع وجه شيرين على الشاشة ترى ذلك الحزن الرقيق، وهذا الوجه يخبرك دوماً أنه يعرفك، وأنّك تعرفه حتى وإن لم تلتق به يوماً، إلا من وراء الشاشة، لكن يكفي أن تستقلّ سيارة أجرة عتيقة، فيبدأ السائق العجوز الأمّي في تلاوة سيرتها الذاتية عليك؛ بدءاً من ولادتها وأصولها حتى دراستها الهندسة ثم تفرّغها للصحافة، فتشعر بسعادة لا توصف، وأنت ترى كيف انتصرت تلك المرأة الفارسة على كلّ النهايات المتوقعة لامرأةٍ ليست لها عائلة تقليدية، سرعان ما ستنفضّ من حولها، ويذهب الأبناء كل واحد في شأن، وتبقى وحيدةً تعاني في صمت. لكنّ شيرين عروسٌ بهية لم يمرّ الزمن على وجهها، وبقيت في عيوننا جميلةً رقيقةً رشيقةً أنيقةً حتى وهي تموت، حتى وهي ملفوفةٌ بالعلم، ومحمولةٌ على أكتاف أهلها وعائلتها الأكبر والأوسع والأضخم في العالم أجمع.

> شيرين عروسٌ بهية لم يمرّ الزمن على وجهها، وبقيت في عيوننا جميلةً رقيقةً رشيقةً أنيقةً

في حياة شيرين أبو عاقلة عائلة مميزة، هي عائلتها الصحافية، ولها أكثر من أبٍ وألف أخت وميئات الأشقاء، ولا يمكنك إلّا أن تغبطها وتقف بقية عمرك حارساً لبعض الغياب.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**